

المقاربة المنظومية

بقلم

أ/ حفصة بعلي الشريف

المدرسة العليا للأستاذة بالقبة - الجزائر



ملخص

يوضح هذا المقال مفهوم المقاربة المنظومية في مجال التعليم والتعلم باعتبارها أكفاً المقاربات لتأهيل الفرد والمجتمع لمواجهة تحديات العولمة، وذلك بتنمية تفكيره العلمي وتفكيره الإبداعي والنقدي، وكذلك المهارات الأساسية، ونقله من التفكير الخطي إلى التفكير المنظومي الذي يعتبر ضرورة للتنمية العلمية والتكنولوجية التي تتطلب الإعداد الجيد لتحقيق الجودة الشاملة .

Résumé :

Le thème de cet article est la définition de "L'approche systémique" dans le cadre de l'enseignement et l'apprentissage à partir d'une exposition de l'importance de la pensée systémique face aux défis de la mondialisation et comme il est sens qui vise à développer les capacités intellectuelles qui est le meilleur moyen que les générations doivent le porter pour lutter contre la dominance culturelle matérielle de leurs sociétés.

مقدمت

يقوم الفكر المنظومي في مجال التعليم والتعلم على دراسة المفاهيم والموضوعات بصفة متكاملة من خلال العلاقات التي تربطها وتجعل منها منظومة متبادلة التأثير والتأثر. وبهذا تميز عن الفكر الخطي الذي هيمن على نتائج التعليم وطرائقه أمداً طويلاً لقصوره واقتصره على الفكر الأحادي الذي يهمل الأبعاد المتعددة والارتباطات المختلفة للموضوع أو المفهوم حيث الفكرة تنتهي إلى فكرة ... ويتواصل التفكير الخطي مقتصرًا على هذا النمط، وقاصراً على إعطاء التفسير المتكامل.

التعريف اللغوي للمنظومة:

تعرف المنظومة من الناحية اللغوية: بأنها نسيج أو مجموعة من الأجزاء المتناسقة أو من العمليات الحيوية التي تنشأ من نشاط أعضاء المكون ككل بوصفها نظاما متكاملًا متناسق الأجزاء من كل لا يتجزأ⁽¹⁾.

أما تعريف المنظومة التربوي فهو: (عبارة عن مكونات بينها علاقات ديناميكية وكل مكون من مكوناتها يعتبر منظومة فرعية تتناغم وتتفاعل مع المنظومة الكلية)⁽²⁾. وتعرف المنظومة أيضا بأنها (ذلك التركيب الذي يتألف من مجموعة من الأجزاء المتداخلة التي تتفاعل مع بعضها البعض، وترتبط فيما بينها بعلاقات تأثير وتأثر مستمر، ويؤدي كل جزء منها وظيفة محددة وضرورية للمنظومة بأكملها)⁽³⁾.

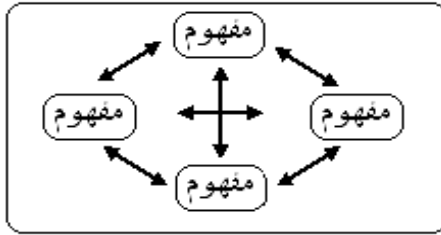
ويعرف المدخل المنظومي (بأنه المدخل الذي يؤدي إلى التعامل الإيجابي مع كافة مكونات المنظومات التي تعمل في تناغم وتأزر بحيث يعمل كل مكون منها كمنظومة فرعية يأخذ من بقية المكونات ويعطيها، بحيث يكون تأثير المنظومة الكلي أكبر من مجموع تأثير مكوناتها)⁽⁴⁾.

وظهر الفكر المنظومي لأول مرة في العالم العربي في مصر (عام 1997 وتبناه مركز تطوير تدريس العلوم الذي أسس عام 1973 بجامعة عين شمس على المستوى القومي عام 2000، وقد قام هذا المركز بدراسات عديدة في هذا المجال، وعقد العديد من المؤتمرات والندوات المهمة؛ فأصبح بذلك معروفا ليس فقط على المستوى القومي المحلي وفي كثير من الدول العربية، بل والعالمية أيضا مثل الولايات المتحدة الأمريكية والصين. وقد تم إجراء العديد من الدراسات المشتركة التي تضمنت مفهوم المدخل المنظومي في التدريس والتعليم ومميزاته عن المدخل الخطي في التدريس أي المدخل التقليدي في التدريس L'approche linière؛ كما عرض بعض التطبيقات العلمية في مجال استخدام هذا المجال في تدريس بعض المقررات الدراسية ومن بينها الكيمياء والفيزياء)⁽⁵⁾.

مفهوم المقاربية المنظومية في التدريس والتعليم:

يقصد بالمقاربة المنظومية في التدريس والتعليم، أو ما يعرف بالمدخل المنظومي في التدريس والتعلم ذلك الأسلوب الذي يهتم ب: (دراسة المفاهيم أو

الموضوعات من خلال منظومة متكاملة تتضح فيها كافة العلاقات بين أي مفهوم أو موضوع وغيره من المفاهيم أو الموضوعات مما يجعل الطالب قادرا على ربط ما سبق دراسته مع ما سوف يدرسه في مرحلة من مراحل الدراسة من خلال خطة محددة وواضحة المعالم لإعداده في منهج معين أو تخصص معين⁽⁶⁾، انظر الشكل⁽¹⁾.



شكل (1): بين العلاقة المنظومية بين المفاهيم

وكذلك بالنسبة لتدريس مفاهيم فروع العلوم المختلفة، والذي يأخذ شكلا أسطوانيا مكونا من عدة شرائح كل شريحة تمثل فرعاً من فروع المعرفة.

تقوم المقاربة المنظومية على أساس النظرية "البنائية Constructivism" في التربية والتعليم والتي تعطي جميع جوانب العملية التربوية والتعليمية أهمية عظيمة كما تهتم بشكل أساسي بالعلاقات البيئية سواء كانت هذه العلاقات أصيلة أو يمكن إحداثها. ومن مجمل التعريفات التي طرحت لهذا المدخل أنه (أسلوب أو طريقة تقوم على التعامل مع جميع العناصر المتعلقة بموقف تعليمي في آن واحد على اعتبار أن كل شيء في هذا الوجود ماديا كان أو غير مادي عبارة عن منظومة... فالإنسان منظومة وعملية التفكير منظومة والمدرسة منظومة وعملية التربية والتعليم منظومة وهكذا)⁷. والمنظومة تقع ضمن حدود معينة داخل بيئة تحيط بها وهي تؤثر وتتأثر عادة بعوامل هذه البيئة، ويمكن تمثيل دينامية عملها بنموذج النظام الأساسي الذي يتكوّن من المدخلات والعمليات والمخرجات. (ويمكن ضبط عمل المنظومة عن طريق عملية التغذية الراجعة، ومن هنا كان التعامل مع المدخل المنظومي في التربية والتعليم منهجا فكريا يرشدنا على نحو نظامي أو نسقي إلى حل المشكلات وهو ليس مجموعة ثابتة من الإجراءات أو الخطوات المقننة، علينا

إتباعها والسير على هداها بحثا عن حل لمشكلة ما بقدر ما هو إستراتيجية عامة دينامية تتغير وفق طبيعة المشكلة.

خصائص المقاربة المنظومية :

من أبرز خصائص هذه المقاربة أنها:

- 1) - ليست عبارة عن مجموعة من الأجزاء المترابطة رصا هندسيا بصورة يفصلها عن بعضها فواصل مادية أو مجموعة يحكمها جميعا آليا؛ بل أن هذه الأجزاء متفاعلة ويؤثر بعضها في بعض، وبينها علاقات، وتجمعها وحدة معينة.
- 2 - لا تقتصر صيغة المنظومة على صفات مجموعة الأجزاء؛ بل إن لها صفات غير صفات الأجزاء، حيث يتوافر لها من الصفات والخصائص ما لا يوجد في كل جزء من الأجزاء بمفرده.
- 3 - تساهم المنظومة في توضيح معنى الأجزاء حيث تعطي كل جزء معناه وصفته⁸

أهداف المقاربة المنظومية في التدريس والتعلم:

- 1) - رفع كفاءة التدريس والتعلم بما يحقق الجودة الشاملة.
- 2 - جعل العلوم المختلفة مواد جذب للطلاب بدلا من كونها مواد منفرة لهم.
- 3 - إنماء القدرة على التفكير المنظومي لدى الطلاب بحيث يكون الطالب قادرا على الرؤية المستقبلية الشاملة لأي موضوع دون أن يفقد جزئياته.
- 4 - إنماء القدرة على التفاعل الإيجابي مع منظومات أجهزة الدولة رفعا لكفاءتها.
- 5 - إنماء القدرة على تحليل الأحداث التي تدور حول العالم والربط بينها بحيث يكون الطالب واعيا لا متفرجا لما يدور حوله من أحداث .
- 6 - إنماء القدرة على التحليل والتركيب وصولا للإبداع الذي هو من أهم مخرجات أي نظام تعليمي ناجح.
- 7 - خلق جيل قادر على التعامل الإيجابي مع النظم البيئية التي يعيش فيها.
- 8 - إنماء القدرة على استخدام المدخل المنظومي عند تناول أي مشكلة لوضع الحلول الإبداعية لها⁹.

إن انتهاج فكرة المقاربة المنظومية في التدريس والتعليم، والعمل بها في الميدان التربوي تستوجب تدريب المعلم على استخدام طرق جديدة للتدريس

والتعليم منها الأخذ بالمدخل المنظومي الذي يظم تحت مظلته أكثر من طريقة واستراتيجية للتدريس والتعلم فيمكن (أن يكون التعلم بأسلوب حل المشكلات أو التعلم النشط أو بالتعلم التعاوني أو بالتعلم عن بعد)¹⁰.

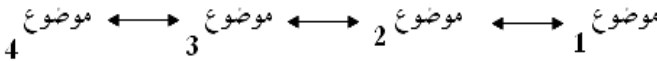
كل ذلك لتحقيق أهداف تربوية متعددة بالإضافة إلى التحصيل الدراسي مثل تحقيق التفكير الابتكاري والأسلوب العلمي في التفكير واكتساب الطلبة الميول والاهتمامات العلمية وتحويل اعتماد الطلبة على الحفظ والاستظهار إلى الفهم والتطبيق والتحليل والتركيب والتقويم...، ومن أهداف هذا المدخل هو إيجاد تكامل منظومي بين مختلف فروع المعرفة ومجالات الحياة المختلفة لتطوير منظومة التعليم بكافة جوانبها تحقيقاً للمنظومية ووصولاً إلى الفكر المنظومي الشامل، وهو بذلك يكون قد استوعبت كل الأساليب و المقاربات التعليمية، وشرع في العمل به بدل المقاربة الخطية في التدريس والتعلم، وكان من أهدافه الاهتمام بالجوانب العملية التعليمية بشكل متوازن بحيث لا يطغى الجانب المعرفي على الجانب المهاري، وأن لا يهمل الجانب الوجداني المغيب في كثير من الأحيان والذي نتج عن إهماله معظم ما تشكو منه منظومتنا التربوية من تدني المستوى ومن نفور من التعلم وتسرب مدرسي وهشاشة المعتقدات وتردي في السلوكيات الأخلاقية وغيرها...، مما يستدعي المبادرة في الإصلاح.

لقد شهدت السنوات الأخيرة حركة إصلاحية في بعض الأنظمة التربوية في الدول العربية ومنها "الجزائر" على خلفية الانتقادات الموجهة لنظامها التعليمي المتعلقة بضعف نتائج الامتحانات التحصيلية في نهاية الأطوار التعليمية، والتسرب المدرسي، والعنف والبطالة وانتشار المخدرات ... ومردُّ هذا النقد الذي لا يزال يوجه إلى أنظمتنا التعليمية هو قصور هذه الأنظمة في مواكبة مستجدات العصر وتدني مستويات مخرجاتها. فحركات الإصلاح التربوي التي تظهر في بعض الأحيان تتسم بالجزئية، فتركز على المدخلات أو على جانب من العمليات التي تعتقد أنها سببا في ضعف الأنظمة التعليمية دون الاهتمام بالعوامل الكثيرة التي يمكن أن تكون لها علاقة بضعف المخرجات كمؤشر على الأداء، ويترجم ذلك الإصلاح بتطوير الأبنية المدرسية أو إدخال الكمبيوتر إلى المؤسسات التعليمية أو استبدال مقاربة تعليمية بمقاربة أخرى، ... وهي حلول جزئية تتمخض عنها نتائج جزئية، وهو ما أشار إليه أحد الخبراء في تقييمه لخطة الإصلاح التربوي التي نادى

بها الأردن في الثمانينات باعتبارها (أول الدول النامية التي قامت بتحسين وتطوير نظامها التربوي بدأ بالتشريعات والأبنية المدرسية والمناهج وإعداد المعلمين والإدارة والإشراف والأساليب والوسائل التعليمية، والتركيز على اللغات الأجنبية وإدخال الحاسوب وبرامج إدارة المعلومات واقتصاد المعرفة والتعليم الإلكتروني، غير أن هذه التجديدات لم يصاحبها اهتمام بالمساءلة وتقييم المخرجات ممثلاً بأداء الطلبة على اختبارات معيارية لضمان نجاح التغيير... فخطوات المساءلة تكاد تنطبق مع خطوات الإصلاح التربوي... إلا أنها تختلف عنه في تركيزها على محاسبة المقصرين وتشجيع ومكافأة المبدعين)¹¹.

والمنهج كأحد عناصر النظام التربوي يشكل منظومة تخضع لمعايير قومية وعالمية وتتكون من عدة مكونات هي الأهداف والمحتوى والطرائق والوسائل والتقويم، يبقى هو الآخر محط انتقاد لقصوره في وظائفه وفي تحقيقه للأهداف التربوية المنشودة.

إن الطرائق (وهي إحدى مكونات المنهج) المنتهجة حالياً في عملية التعليم والتعلم تقوم على التفكير الوظيفي أو الخطي - أي ما يعرف بـ "المقاربة الخطية L'approche linéaire" - بأبسط صورته في تحديد علاقة ما بين سبب ونتيجة يمكنهما تبادل الوظائف بمعنى أن العلاقة التي تربط بينهما هي علاقة تبادل. والمقاربة الخطية في التعليم والتعلم تكتفي بترتيب الموضوعات بشكل مصفوفة "Matrice" ذات منحى خطي أفقي أو عمودي ثم تحدد طبيعة العلاقة التي تربط بين كل موضوع والموضوع الذي يليه والذي قبله، أنظر الشكل (2) التالي:



شكل (2) بين العلاقة المتبادلة بين مواضيع المقاربة الخطية

وينفس المبدأ تصاغ مكونات العملية التعليمية (تبدأ بأهداف مسبقة تليها مدخلات تمثل في الطلاب يليها عمليات تمثل في المحتوى والأنشطة المصاحبة لتدريسه يأتي بعدها ما يسمى بالتغذية الراجعة نتيجة القياس والتقويم لما حصل عليه الطالب، يتبع ذلك إعادة النظر في الأهداف والمدخلات والعمليات بقصد

تحسينها في ضوء ما تأتي به نتائج التقييم. إن ما نلاحظه في هذا النموذج من المقاربات هو تقليد لما يحدث في دورات الإنتاج السلعي في عالم الصناعة من خلال خطوط الإنتاج!! بمعنى أن هذا النظام وجد ليتواءم مع حاجات الصناعة من حيث إعداد الطلاب إلى عمال وقيادات في المصانع "التقليدية" بعد تخرجهم وإلى إكسابهم معارف مهارات محددة ومحدودة، وإن النظام الخطي لم يعد صالحا في عصر الاتصالات التي تتزايد أسيا¹²

لقد سيطر هذا النظام التعليمي الخطي على ما يزيد عن قرنين كاملين، وقد نادى به الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" في القرن السابع عشر واعتبر آنذاك فتحا علميا ومضى العالم على هذا الفكر حتى برزت مشكلات مختلفة في كل المجالات ومنها المشكلات التي ميزت عصر العولمة وما صاحبه من تقلص في سيادة الدولة القومية ونفوذها، ومن تداعيات العولمة (إعلاء القيم المادية فوق القيم الروحية واللاهوتية فوق الهوية، ومزيذا من حرية الفرد بعيدا عن الأسرة والمجتمع، وثقافة الاستهلاك فوق ثقافة الانتاج، وأخيرا التشريعات المعولمة فوق التشريعات المحلية)¹³، وبهذا أصبح العالم قرية كونية صغيرة تقلصت فيها المسافات الجغرافية بين المجتمعات كما تقلصت معها أيضا المسافات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وتراجع دور المؤسسات التربوية والثقافية في تحسين الأجيال بالقيم الأخلاقية والوطنية. ويرى بعض المربين أن نقطة البداية في مناهضة تحديات العولمة هو إصلاح منظومتنا التربوية والتخلي عن النظرة الأحادية التي هيمنت على التفكير والتخطيط والتعليم وجميع مناشط الحياة. فمنهجنا ما زالت تصاغ بمفهوم النظرة الأحادية، وتعامل بشكل محدود مع مكونات المنهج وتعالجها كل على حدة دون الأخذ في الاعتبار العلاقات القائمة بين هذه المكونات، وتعليمنا ما زال يركز على التفكير الخطي المتسلسل ويرى أنه المصدر الوحيد التقليدي لمعالجة المعلومات، مما أضعف النظرة الاستشرافية للمستقبل، كون النظام الخطي يشكل مجموعة ثابتة من المفاهيم أو الخطوات المقننة، التي يجب علينا إتباعها والسير على هداها بحثا عن حل لمشكلة ما، (والارتباط بين هذه الخطوات أو المفاهيم في مراحلها البسيطة والضعيفة والسطحية بالمفاهيم الأخرى ارتباط تأثير وتأثر ارتباط أخذ وعطاء)¹⁴، ولغياب التكامل بينها جاءت مفككة الأواصر.

ومن تبعات تطبيق هذا النظام في تعليمنا بنظرتة الجزئية المتفككة جاءت أهدافه التعليمية غير مترابطة وغير متوازنة فهي تهتم بتنمية المجال المعرفي وجزئيا بالمجال المهاري وتهمل المجال الوجداني رغم أهميته.

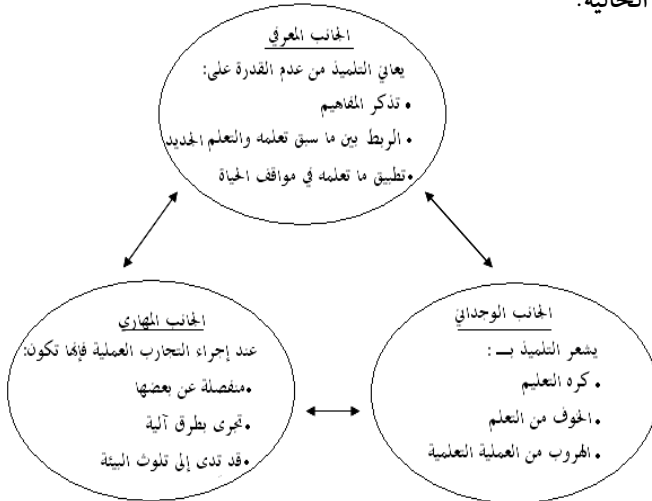
تتجاذب العملية التربوية في الوقت الراهن أطراف كثيرة كسرعة حركة الأحداث وواقع العولمة والتعقيد ومشاكل البيئة وضعف مستوى خريجي التعليم وضعف الاهتمام بجوانب التعليم والمشاكل الخلقية والانحرافات... ووسط هذا الخضم الهائل من التحديات والصعوبات تجد العملية التعليمية نفسها مطالبة بمواجهتها بما يناسبها من أساليب، فترابط أطراف المتحديات وتشابكها يصعب من عملية إصلاح كل منها على حدة، وإذا بحثنا عن سبب معاناة منظوماتنا التعليمية التعليمية نجدة يكمن في عدم ترابط عناصرها وفقدان التكامل بينها، وأوضح مثال على هذا الوضع هو التفكك الموجود بين مكونات منظومة المنهج الحالية وبين عناصر هذه المكونات (فالأهداف التعليمية معدة بطريقة خطية ولا يظهر فيها الترابط والتكامل بين جوانبها المختلفة "المعرفية، والوجدانية، والمهارية" فكل جانب من هذه الجوانب يعمل بطريقة خطية، لا تظهر فيها العلاقات المتبادلة بين كل جانب من هذه الجوانب أو داخل كل جانب على حدة. كما أن هناك فجوة بين الأهداف المطلوب تحقيقها من أي منهج وبين محتوى هذا المنهج الذي غالبا ما يتكون من مجموعة من الموضوعات غير المترابطة، والمعارف المجزأة التي لا تتناغم مع بعضها... كما يوجد انفصال آخر بين كل من الأهداف والمحتوى والطرائق والأنشطة وأساليب التقويم التي تهتم في معظم الأحيان بقياس مدى تحصيل التلاميذ للحقائق أكثر من الاهتمام بمدى فهمهم لتلك الحقائق أو مدى قدرتهم على رؤية العلاقات المتبادلة التي تربطها ببعضها البعض أي أن أساليب التقويم الراهنة تهتم بقياس المستويات الدنيا للتعلم "التذكر، والفهم، والتطبيق" وتهمل قياس المستويات العليا للتعلم كالتحليل، والتركيب، والتقويم"، كما أنها تغفل في معظم الأحيان بقية منظومة الأهداف التعليمية¹⁵.

فهي تركز على المجال المعرفي وتهمل ما عداه من المجالات الأخرى المهارية والوجدانية فينتج عنه ضعف في تكوين التلاميذ في هذه الجوانب، وتأثر شخصيتهم بالجانب المعرفي فقط والذي هو الآخر يعاني من الضعف بحيث لا يتجاوز التحصيل فيه المستويات المعرفية الدنيا في الغالب. كما أدى إهمال

المستويات المعرفية الأخرى: "التحليل، التركيب، والتقويم" إلى جعل التعليم يقتصر على حشو الذاكرة بالمعلومات وحفظها واستعراضها في الامتحان لضمان النجاح. وغاص الكل في الاهتمام بهذا الجانب وأهمل الجانب الوجداني الذي يهدف إلى تحديد الميول والاتجاهات والعادات والقيم الإيجابية لدى التلاميذ فهذا الجانب لا يمكن تنميته عن طريق مجرد القراءة عنه أو الاستماع إلى مزياءه، بل لا بد من تهيئة الفرص المتعددة أمام التلاميذ لممارسته، وتكوين الانفعالات والعواطف المناسبة حوله مما يجعلهم يحبونه ويؤمنون به ويتحمسون له، وفي هذا يقول "مصطفى محمود الحوامدة": (إذا كنا نؤمن أن انحراف السلوك إنما هو نتيجة لانحراف في الفكر فإننا لا نؤمن بأن تصحيح الفكر يؤدي حتماً إلى تصحيح السلوك، فكثير من الناس يعون قيمة الوقت ومع ذلك تراهم يتخلفون عن المواعيد ويتأخرون، إننا لا نرى تلازماً ضرورياً بين حسن الفهم وسوء السلوك وإنما الأمر أمر احتمال فهناك بعض غير قليل يصححون سلوكهم عندما يدركون الحقيقة. إن مهمة المربي هي تعبئة الأجواء التي تعين على أن يكون السلوك سوياً لكنه لا يحمل الناس على ذلك ومع ذلك فإن النفس البشرية تحتاج إلى دوام التربية واستمرار التوجيه فهي ليست آلة وليست حالة منتهية ولكنها دائمة الثقلب متعددة المطالب متعددة الاتجاهات، فهي بحاجة إلى تربية وتوجيه مستمران)¹⁶. ومن ذلك نرى أن التربية التي تهتم بالمعلومات وحدها، وتهمل العناية بالجانب الوجداني تربية تؤدي في معظم الأحيان إلى تعليم دون تعلم تهمل منابع الطاقة الموجهة لسلوك الفرد، وتكون بذلك تربية ضعيفة الأثر في تكوين الخلق القويم وبناء الشخصية المتكاملة لأبنائها. من خلال هذه الوصفة الدقيقة يتبين سبب ضعف دور المؤسسات التربوية في إعداد أجيال المستقبل والحكم بقصور المنهاج في أداء وظائفه التربوية بتحقيق الأهداف التربوية المنشودة بطريقة فعالة. والنتيجة هو ما تعاني منه كثير من دول العالم فمشاكلها الصحية والانحرافات الخلقية لا تعد ولا تحصى، فالتدخين وتناول المسكرات والمخدرات إلى السلوكيات الخاطئة والمواقف المرذولة واتباع الهوى والإرهاب بمختلف معانيه... ما هي إلا نواتج أفرزتها النظم التعليمية التعلمية المفككة المتهتجة. وفي هذا يقول "فاروق فهمي": 'ويعزى معظم هذه السلوكيات إلى القصور في مناهجنا وطرائق تدريسنا التي تعد الطالب إعداداً خطياً، لذا يتعامل مع منظومة جسمه بالكيفية التي تعلم بها... فالإرهابي في أي مكان من العالم نجده نتيجة نظم تربوية تدرّس كثيراً وتعلم قليلاً،

نظم قاصرة - في معظم الأحيان - عن تجاوز الحدود الدنيا للتعلم، نظم قاصرة عن توجيه الفكر وتعديل السلوك، نظم تخرج أجيالا تتعامل بفكر خطي منحرف مع منظومات أوطانها.

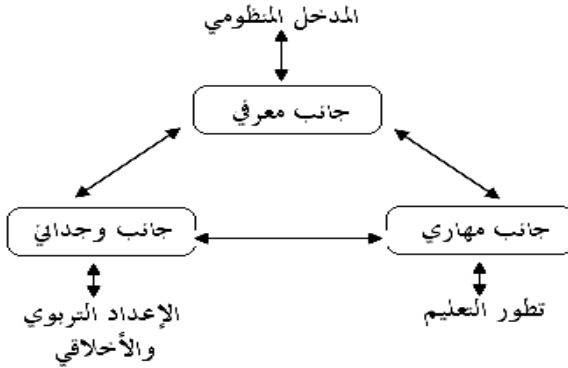
ومن مفرزات النظام التعليمي الحالي هو تخريج أجيال من المتعلمين يعانون من قصور في جوانب تعلمهم أي الجانب المعرفي، والسبب يعود إلى اهتمام المعلمين وتركيزهم على الجانب النظري على حساب الأنشطة التعليمية مما أدى إلى عدم قدرتهم على تذكر المفاهيم والربط بين المعلومات السابقة والمعلومات الجديدة، بالإضافة إلى عدم القدرة على تطبيق ما تعلموه في مواقف جديدة في حياتهم. وبحكم ارتباط هذا الجانب وتأثيره وتأثره ببقية جوانب التعلم الأخرى فإن أثره على الجانب المهاري يكون واضحا في عدم ترابط التجارب العملية التي تجرى بطرق آلية قد تكون مضارها أكثر من منافعها. وينتقل الأثر المممل الذي خلفه الجانبان المعرفي والمهاري والذي ضاقوا به ذرعا إلى الجانب الوجداني الذي نلمسه في سلوكياتهم كرههم للتعليم والهروب من العملية التعليمية كلها، والشكل (3) الموالي يبين القصور في جوانب التعلم المختلفة وفقا لممارسات التعلم الحالية.



شكل (3) القصور في جوانب التعلم المختلفة
وفقا لممارسات جوانب التعلم الحالية

وهذا يستلزم إعادة النظر في المنظومة التعليمية لمواجهة هذه التحديات التي تهدد الأمن القومي، والعمل على جعل المنظومة التعليمية قادرة على مواجهة هذه المشكلات والتحديات العالمية، وذلك من خلال تسليح الإنسان بسلح العلم المزود بالفكر المنظومي، هذا في الوقت الذي استفحل فيه نفوذ العولمة بكل تداعياتها وتجلياتها، وما تفرضه من تحديات وما توفره من فرص الاستفادة من تجارب الآخرين، كل ذلك في ظل منافسة تنافسية لا قبل للعالم بها ولا مكان فيها للنجاح بل للمتميز من الناجحين ومن ثمة تأتي أهمية الجودة الشاملة في عصر العولمة كمدخل ضروري لتحقيق التميز عن طريق الجودة الشاملة والتي تعني (تضافر وتناغم جهود العاملين في منظومات مجالات العمل المختلفة بالدول بهدف التحسين المستمر للأداء، لتقديم أفضل الخدمات وبتكلفة اقتصادية وباستخدام أفضل للموارد بحيث تتحقق إدارة الجودة في كافة مجالات الأداء)¹⁷.

ويرى كثير من الباحثين أن المقاربة المنظومية هي أكفأ مقارنة في التدريس والتعلم في تأهيل الفرد والمجتمع للتصدي لمختلف مواقف الحياة (فهو المدخل الذي تتكامل فيه الرؤية والبصيرة الإدراكية لمعالجة المواقف الحياتية المتجددة على أكمل وجه)¹⁸، ويعد المدخل المنظومي في هندسة وبناء المناهج سواء على مستوى التعليم العام أو الجامعي من المداخل المعاصرة التي تسعى إلى الجودة الشاملة، ليس فقط في محتواه وتدرسه وتقييمه بل في عمليات التفكير التي يعمل على تنميتها وخاصة التفكير المنظومي في نظره الشاملة للمواقف الحياتية في صورتها المتكاملة، (والمنظومة في جوهرها تعنى تنظيم الخبرات التعليمية وترابطها ببعضها البعض علاقات شبكية تبادلية تعمل ككل لتحقيق أهداف معينة وتتضح فيها كافة العلاقات بين مفهوم أو موضوع وغيره من المفاهيم أو الموضوعات الأخرى)¹⁹، ويمثل الشكل (4) التالي منظومة جوانب التعلم .



شكل (4) منظومة جوانب التعلم

الخاتمة

وبهذا يتبين لنا أن تطوير التعليم يتطلب مقارنة جديدة وهي المقاربة المنظومية.

والمقاربة المنظومية حديثة العهد، قد ظهرت لأول مرة في العالم العربي في مصر عام 1997، وتميزت عن المقاربة الخطية في التدريس أو ما يعرف بالمقاربة التقليدية بتكامل الرؤية والبصيرة الإدراكية لمعالجة المواقف الحياتية المتجددة. وهي تقوم على أساس "النظرية البنائية Constructivisme" في التربية والتعليم والتي تعطي جميع جوانب العملية التربوية والتعليمية أهمية عظيمة.

وتعد المقاربة المنظومية في هندسة وبناء المناهج سواء على مستوى التعليم العام أو الجامعي من المقاربات المعاصرة التي تسعى إلى الجودة الشاملة، ليس فقط في محتواه وتدرسه وتقويمه بل في عمليات التفكير التي يعمل على تنميتها وخاصة التفكير المنظومي بنظرته الشاملة للمواقف الحياتية في صورها المتكاملة، وفي تنظيمه وربطه للخبرات التعليمية ببعضها البعض وتحديد كافة العلاقات بين مفهوم أو موضوع وغيره من المفاهيم أو الموضوعات الأخرى بحيث تعمل ككل لتحقيق أهداف معينة.

- الهوامش:

- 1 - منير البعلبكي (1978): المورد، قاموس انكليزي - عربي، دار العلم للملايين، ص: 637.
- 2 - فاروق فهمي (2002): الوجه الآخر للعلمة، المنظومية وتحديات الحاضر والمستقبل، ط1، دار الحريري للطباعة.
- 3 - عبد الله السيد عبد الجواد (2003): المنظومة في إعداد المعلم مطلب رئيسي لمواجهة التحديات المتجددة، المؤتمر العربي الثالث حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 5 - 6 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص: 331.
- 4 - فاروق فهمي (2005): تطبيقات المدخل المنظومي في مواجهة التحديات الحاضرة والمستقبلية "رؤية منظومية للجودة الشاملة في الأداء، المؤتمر العربي الخامس حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 16 - 17 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص: 20.
- 5 - محمد علي نصر (2004): المدخل المنظومي في التدريس والتعليم وموقعه بين المداخل الأخرى، المؤتمر العربي الرابع حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 3 - 4 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص: 338.
- 6 - فاروق فهمي (2002): مرجع سابق، ص: 61.
- 7 - مصطفى محمود حوامدة (2003): منهج القرآن في تربية الإنسان رؤية منظومية، المؤتمر العربي الثالث حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 5 - 6 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص: 85.
- 8 - عبد الله السيد عبد الجواد (2003): مرجع سابق، ص: 332، 333.
- 9 - فاروق فهمي (2002): مرجع سابق، ص: 64.
- 10 - فاروق فهمي (2002): مرجع سابق، ص: 54.
- 11 - فاروق فهمي (2004): المساءلة والإصلاح التربوي في إطار المدخل المنظومي، المؤتمر العربي الرابع حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 3 - 4 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص: 52.
- 12 - ولیم عبيد (2003): مداخل معاصرة لبناء الناهج، المؤتمر العربي الثالث حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 5 - 6 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص: 125.
- 13 - فاروق فهمي (2002): مرجع سابق، ص: 128.
- 14 - محمد كامل الناقة (2001): المنظومة التعليمية، المؤتمر العربي الأول حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 11 - 18 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص 28.
- 15 - فاروق فهمي ومنى عبد الصبور (2001): المدخل المنظومي في مواجهة التحديات التربوية المعاصرة والمستقبلية، دار المعارف - القاهرة - مصر، ص 19.
- 16 - مصطفى محمود حوامدة (2003): مرجع سابق، ص: 111.

- 17 - فاروق فهمي (2002): مرجع سابق، ص: 20..
- 18 - محمد الخوالدة (2003): منظومة البناء المعرفي وطرائق تدريسها، المؤتمر العربي الثالث حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 5 - 6 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص 301.
- 19 - فائزة السيد محمد و فاروق فهمي و منى عبد الصبور (2005): فعالية التدريس المنظومي في تنمية مهارات القراءة والكتابة لدى تلاميذ الصف الأول ابتدائي، المؤتمر العربي الخامس حول المدخل المنظومي في التدريس والتعلم، 16_17 أبريل، مركز تطوير تدريس العلوم، جامعة عين شمس القاهرة، ص 373.